

تفسير البحر المحيط

@ 175 @ قوله : إن يتبعون التفاتاً ، إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة . .
{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا }
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ { : هذا تنبيه منه تعالى على عظيم
قدرته وشمول نعمته لعباده ، فهو المستحق لأن يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من
الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار ، وأضاف الأبصار إلى النهار مجازاً ، لأن
الأبصار تقع فيه كما قال : .
ونمت وما ليل المطيَّ بنائم .
أي : يبصرون فيه مطالب معاشهم . وقال قطرب : يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة ، وأضاء
النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر انتهى . وذكر علة خلق الليل وهي قوله : لتسكنوا فيه
، وحذفها من النهار ، وذكر وصف النهار وحذفه من الليل ، وكل من المحذوف يدل على مقابله
، والتقدير : جعل الليل مظلماً لتسكنوا فيه ، والنهار مبصراً لتحركوا فيه في مكاسبكم
وما تحتاجون إليه بالحركة ، ومعنى تسمعون : سماع معتبر . .
قالوا اتخذوا ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان
بهذا أتقولون على ما لا تعلمون . قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع
في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون { : الضمير في
قالوا عائد على من نسب إلى الله الولد ، ممن قال الملائكة بنات الله ، أو عزيز ابن الله ، أو
المسيح ابن الله ، وسبحانه : تنزيهه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك ، هو الغني علة
لنفي الولد ، لأنَّ اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه ، والله تعالى غير محتاج إلى شيء ،
فالولد منتف عنه ، وكل ما في السموات والأرض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد . وأنَّ نافية
، والسلطان الحجة أي : ما عندكم من حجة بهذا القول . قال الحوفي : وبهذا متعلق بمعنى
الاستقرار يعني : الذي تعلق به الطرف . وتبعه الزمخشري فقال : الباء حقها أن تتعلق
بقوله : إن عندكم على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم نور ،
كأنه قيل : إنَّ عندكم فيما تقولون سلطان . وقال أبو البقاء : وبهذا متعلق بسلطان أو
نعت له ، وأتقولون استفهام إنكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ، ويحتج بذلك في إبطال
التقليد في أصول الدين ، واستدل بها نفاة القياس وإخبار الآحاد . ولما نفى البرهان عنهم
جعلهم غير عالمين ، فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم .
والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل من نسب إلى الله الولد ، ومن قال في الله وفي صفاته

قولاً بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الإفلاح ، ولما نفى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من إفلاحهم في الدنيا لحظوظ فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل : متاع قليل جواب على تقدير سؤال ، كان قائلاً قال : كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به ، فقيل : ذلك متاع في الدنيا ، أو لهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ، ثم يلقون الشقاء المؤبد في الآخرة . .

2 ({ * } : الضمير في قالوا عائد على من نسب إلى ابن الولد ، ممن قال الملائكة بنات ابن ، أو عزيز ابن ابن ، أو المسيح ابن ابن ، وسبحانه : تنزيهه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك ، هو الغني علة لنفي الولد ، لأنَّ اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه ، وابن تعالى غير محتاج إلى شيء ، فالولد منتف عنه ، وكل ما في السموات والأرض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد . وأنَّ نافية ، والسلطان الحجة أي : ما عندكم من حجة بهذا القول . قال الحوفي : وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني : الذي تعلق به الطرف . وتبعه الزمخشري فقال : الباء حقها أن تتعلق بقوله : إن عندكم على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم نور ، كأنه قيل : إنَّ عندكم فيما تقولون سلطان . وقال أبو البقاء : وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له ، وأقولون استفهام إنكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ، ويحتج بذلك في إبطال التقليد في أصول الدين ، واستدل بها نفاة القياس وإخبار الآحاد . ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين ، فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم . والذين يفترون على ابن الكذب عام يشمل من نسب إلى ابن الولد ، ومن قال في ابن وفي صفاته قولاً بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الإفلاح ، ولما نفى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من إفلاحهم في الدنيا لحظوظ فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل : متاع قليل جواب على تقدير سؤال ، كان قائلاً قال : كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به ، فقيل : ذلك متاع في الدنيا ، أو لهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ، ثم يلقون الشقاء المؤبد في الآخرة . .

({ ثُمَّ } بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرُ مِثْلِينَ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِمْ أَمْ أَبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُم مَّا الْكِبَرُ يَا أَيُّهَا الرَّحْمَنُ لَمَّا جَاءَكُمْ بِرِئَاسَةٍ * وَفِي الْأَمْثَلِ سَاحِرٌ عَلِيمٌ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّقْنُونَ * فَلَمَّا

أَلْقُوا ۚ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ ۚ إِنَّ اللَّاهَ سَيُبْطِلُهُ ۚ إِنَّ
اللاهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحَقِّقُ اللَّاهُ الْحَقَّ ۚ
بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَمَآءَمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةَ
مَنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِن
فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا لَهُ لَمَنِ الْفُتُونِ * وَقَالَ مُوسَىٰ
يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّاهِ فَعَلَّاهُ تَوَكَّلُوا ۚ إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ * فَتَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً ۚ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ { 7 !